منهج ابن أب المزمري وأسلوبه في مؤلفه
(نفث القلم بشرح لامية العجم)

الطالبة: خالدي أميرة

إشراف أ.د / أحمد جعفري

جامعة أدرار

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى الوقوف على أحد مخطوطات علماء توات وهو (نفث القلم بشرح لامية العجم) للعالم اللغوي والأديب والفقيه ابن أبّ المزمري (ت 1160هـ)، وذلك بتسليط الضوء على أهم الجوانب المنهجية والتقنيات التي اتّبعها ابن أبّ في شرحه هذا، من أجل الكشف عن قيمته المعرفية والتاريخية. حيث تحدّثت في المقدّمة عن أهداف هذا البحث ومكانة قصيدة لامية العجم في الأدب العربي، ثمّ ترجمت للمؤلف بذكر أهم محطات حياته بإيجاز (اسمه مولده، نشأته، تعلّمه وتعليمه، تلامذته، آثاره.)،ثمّ بيّنت منهجه في هذا الشرح، وختمت البحث بالحديث عن أهمية هذا الشرح ومزاياه.

Abstract:

This search work examines one of the manuscripts of the scholars of TOUAT entitled *Nafth El Qalam Bi Sharh Lamiat Elajam* (Pen spill on the explanation of the Ajami poetry) written by the linguist Ibn Al Muzammiri (died in 1160H). Light is shed on the methodological and technical sides followed by Ibn Al-Muzammiri in his interpretation to reveal its historical and knowledge values. In the introduction, the objectives and the status of the Ajami poetry and Arabic literature are introduced. Then, a biography of Ibn Al-Muzammiri through which we deal with the important stages in his life (his name، birth، learning and teaching course, his students and achievements). Then، there will be an attempt to show his approach in this interpretation. The research is concluded by the importance of this interpretation and its advantages.

مقدمة:

في هاته الورقة البحثية نقف على أحد تركات العالم اللغوي والأديب الشاعر والفقيه ابن أب المزمري ت 1160هـ وهو مؤلَّفه الموسوم (نفث القلم بشرح لامية العجم)، لنحاول تسليط الضوء على أهم الجوانب التي ارتكز عليها في شرحه وتوضيح منهجه الذي ارتضاه؛ بغية تلمّس قيمته العلمية.

إذ تعدّ قصيدة لامية العجم[1] للطغرائي [2] من أهم القصائد التي حظيت باهتمامٍ بالغ في تاريخ الأدب العربي، وهي مليئة بالحكم والأمثال والإشادة

---

[1] غلبت هذه التسمية لقصيدة لامية عربية للطغرائي، وهي قصيدة من البحر البسيط عدد أبياتها 59 بيتاً نظمها الطغرائي سنة خمسمائة وخمس يصف فيها حاله ويشكو زمانه، وهي مليئة بالحكم والأمثال، وذهب بعضهم إلى أنها سميت بلامية العجم تشبيها لها بلامية العرب، لأنها تضاهيها في حكمها وأمثالها، ولامية العرب العرب هي التي قالها الشاعر الجاهلي ثابت بن أوس الأزدي، أحد الشعراء الصّعاليك،الملقب بالشنفرى وأولها:

أَقِيمُوا بَنِي أُمِّي عَلَيَّ مَطِيَّكُمْ فَانِّي إلى قَوْمٍ سِوَاكُمْ لَأَمْيَلُ

ويرى بعض الدارسين أن تسمية لامية العجم يحتمل أنها ترجع لصاحبها الطغرائي كون صاحب هذه القصيدة من العجم من أصبهان، لينالها الشهرة والشرف الشهرة بمقارنته بالشنفرى صاحب لامية العجم، وقد حظيت بشروح كثيرة، ويعد شرح أبي البقاء العكبري(ت 616هـ) أقدم شرحٍ لها، وقد درجت الدراسات على تقسيمها إلى خمسة مقاطع، وفقاً للمعاني التي تضمنتها بصورة أساسية كالتالي:

– في المقطع الأول: يفخر الشاعر بسداد رأيه ومكامنه من المجد والفضل، ويشكو متذمّراً من عزلته واغترابه ويعتزم الرّحيل عن بغداد (1–9).

– في الثاني حديث عن الرحلة التي صمّم القيام بها وعن الركب المسافر، ويتضمّن إلى ذلك غزلاً مُسهِباً (10– 29).

– وفي الثالث ذم الخمول والكسل، وحثٌّ على اقتحام المخاطر، وطلب العُلى في التنقل والمغامرة (30–36).

– وفي الرابع يزهو الشاعر بنفسه على كل من يحيط به من أبناء عصره، ومقدّمي زمانه ويهجو الحكّام وأرباب السّلطة والجاه (37–47).

– وفي الخامس أحكام عامّة وحِكم في خلاصة تجاربه المريرة مع السلطة، وسلوك الناس والفساد المنتشر في عصره، وهي حافلة بالشكوى والتذمّر والألم وتشوبها مسحة من التشاؤم والخيبة. (48– 59). ينظر المعجم المفصّل في اللغة والأدب، إميل بديع يعقوب وميشال عاصي، دار العلم للملايين، بيروت، ط1– 1987م، مج 02، ص1055– 1056، مقال: شرح لامية العجم لأبي البقاء عبد الله بن الحسين (538– 616هـ) دراسة وتحقيق: محمود العامودي، مجلة الجامعة الإسلامية، المجلّد العاشر، العدد الأول ص 195 وما بعدها.PDF، الطّغرائي: حياته – شعره– لاميته(بحث وتحقيق وتحليل)، علي جواد الطّاهر، منشورات مكتبة النّهضة – بغداد، ط01–1963م، ص 36 وما بعدها.

[2] هو أبو إسماعيل الحسين بن علي بن محمد بن عبد الصمد الملقب مؤيد الدين الأصبهاني المنشئ المعروف بالطغرائي؛ كان غزير الفضل لطيف الطبع، فاق أهل عصره بصنعة النظم والنثر، له ديوان شعر جيد، ومن محاسن شعره قصيدته المعروفة بلامية العجم، وكان عملها ببغداد في سنة خمس وخمسمائة يصف حاله ويشكو زمانه. توفي سنة ثلاث عشرة وخمسمائة، وقيل إنه قتل سنة أربع عشرة، وقيل ثماني عشرة، وقيل خمسة عشرة، وقد جاوز ستين سنة، وفي شعره ما يدل على أنه بلغ سبعاً وخمسين سنة لأنه قال وقد جاءه مولود :

بالأخلاق النبيلة، كما تمثل خلاصة تجارب الشاعر في الحياة، ولعلّ هذا ما منحها هاته المكانة الرفيعة في التراث العربي، ودليل ذلك كثرة شروحها قديما وحديثا.[1]

فقد كانت عناية العلماء المغاربة والمشارقة في عصر المماليك وما بعده منصبّة على شرح النصوص الشعرية بشكل بارز لخدمة الجانب التعليمي بالدّرجة الأولى، إذْ«كان حفظ الأشعار العربية وعلم معانيها ومعرفة ما فيها من خبرٍ ولغة وأغراضٍ بلاغية وميزاتٍ فنية جزءاً هاماً يقرر على حلقات الدّرس، ويأخذ به الدّارس نفسه مِنْ حفظٍ وفهمٍ ودراية»[2]

1. ترجمة ابن أبّ المزمّري:

1) **مولده ونسبه:** هو عبد الله سيدي محمد بن أبّ بن أحمد[3] بن عثمان بن أبي بكر المزمري أو الزمّوري نسبًا، التواتي مولداً وموطناً ووفاةً[4]، يقول سيدي محمّد بن عبد الكريم البكري(ت):« السيّد محمّد بن أبّ بضمّ الهمزة، هكذا ضبطه، الزموري نسبةً إلى زمّورة من أرض البرابر، المخزومي القرشي»[5]

هذا الصغير الذي وافى على كبري... أقر عيني ولكن زاد في فكري
سبع وخمسون لو مرت على حجر... لبان تأثيرها في صفحة الحجر

والله تعالى أعلم بما عاش بعد ذلك، رحمه الله تعالى. ينظر ترجمته: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلّكان، تح: إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت، ط06، 2013هـ/ 1434م،مج 02 ص185، 188، 187، 190. وتاريخ الأدب العربي، أحمد حسن الزيات، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط6، 1420هـ 2000م، ص 210. والطّغرائي: حياته – شعره– لاميته، مرجع سابق، ص 36 وما بعدها.

[1] من ذلك ما ذكره بروكلمان، وصاحب كشف الظنون مايزيد عن ثلاثين شرحا، ينظر تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان، جـ05، ص 5– 13، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، جـ02 ص...، وشروح لامية العجم، دراسة تحليلية نقدية، إبراهيم محمد منصور، المركز المصري العربي، ط1، 1998م، ص 17.

[2] تاريخ النقد الأدبي في الأندلس، محمّد رضوان الدّاية، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1993م، ص 71.

[3] في رواية: "بن احميد"، ينظر قطف الزهرات من أخبار علماء توات، محمّد عبد العزيز سيدي عمر، مطبعة دار هومة، الجزائر، (د.ط)، 2002م، ص100.

[4] محمّد بن أبّ المزمري هـ حياته وأثاره ويليه مخطوط روضة النّسرين في مسائل التمرين، محمد بن أب، تح ودر: أحمد أبا الصافي جعفري، دار الكتاب العربي، ط1، 2004م، ص56.

[5] جوهرة المعاني، محمّد بن عبد الكريم بن عبد الحق التمنطيطي،(مخطوط) خزانة الشيخ باي آولف، ص29.

ولد بقرية أولاد الحاج[1] بآولف في العقد الأخير من القرن الحادي عشر الهجري، عام 1094م.

2) تعلّمه وتعليمه:

تلقى علومه الأولى بمسقط رأسه قصر أولاد الحاج، ثمّ راح يتنقل بين الزوايا والمشايخ؛ فقد أثر عنه كثرة تنقلاته ورحلاته، حيث اتّصل بعدة شيوخ منهم الشيخ محمّد الصالح المقداد(ت.ق12)، والشيخ الفقيه سيدي عمر بن المصطفى بن سيدي عمر الرقادي (ت1157) بزاوية كنتة[2] التي أقام فيها زمناً[3] دارسا ومدرّسا، ثمّ انتقل إلى تمنطيط التي درس بها طويلا، ومنها إلى زاوية تنلان، لينتقل بعد ذلك إلى عدّة أقطار عربية وإسلامية، ليستقر به المقام في الأخير بمدينة تيميمون.[4]

فقد كان من العلماء الذين أسهموا في ربط توات بغيرها من الحواضر؛ يقول الشيخ محمّد باي بلعالم «كان يعرف بصاحب الجولان، فلقد جال في المغرب الأقصى وفي مالي مثل تمبكتو وأروان إلى غير ذلك من البلدان التي كان يجوبها للاستفادة والإفادة»[5]

ومن شيوخه أيضا سيدي أحمد التوجي[6]، وزار بالمغرب مدينة سجلماسة، وحضر مجلس عالمها آنذاك الأستاذ أبي إسحاق سيدي إبراهيم[7].

ويصف تلميذه سيدي عبد الرحمان بن عمر التينيلاني(ت1189هـ) أخلاقَه وصفاته في العلم والتعليم، يقول:«كان متقناً، مجيداً، فطناً، عارفاً، يباحث

---

[1] التابع حاليا لبلدية تمقطن، دائرة آولف، ولاية أدرار.

[2] ينظر فهرسة عبد الرحمان بن عمر التنيلاني، دراسة وتحقيق(أطروحة ماجستير، مخطوط)، إعداد عبد الرحمان بن محمد بعثمان، إشراف محمد بن معمر، جامعة بشار، 2008–2009م، ص134.

[3] ينظر نسيم النفحات، نسيم النّفحات من أخبار توات ومن الصّالحين والعلماء الثقات، مولاي أحمد الطّاهري الإدريسي الحسني، مداد للطباعة والنّشر، غرداية، ط2، 2012م، ص 176.

[4] ينظر محمّد بن أبّ المزمري، مرجع سابق، ص57،58.

[5] الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات، محمد باي بلعالم، بلعالم، دار هومة، الجزائر،د. ط، د. ت، جـ01 ص 90.

[6]، ينظر فهرسة عبد الرحمان بن باعومر، مرجع سابق، ص134. قطف الزهرات، مرجع سابق، ص111.

[7] ينظر جوهرة المعاني، مصدر سابق، ص30.

الشّراح في مجلسه بأحسن بحث، إلا أنه كان قليل الإقراء، ضجوراً على الطّلبة وكان رحمه الله ورعاً في الفتوى، لا يكاد يجيب في نازلة، ويحيل على غيره ولو كان أدنى منه، وكان كثير المطالعة لا تكاد تجد كتاباً في توات إلاّ وتجد خطّه فيه، وكان متقناً في الضبط لا يتساهل فيه »[1].

3) تلامذته:

رغم نشاط حياة ابن أب العلمية وتعدد رحلاته داخل الوطن وخارجه؛ إلا أنّه لم يعلم من تلاميذه _من خلال الأسانيد التي تحدّثت عن تلاميذه_ سوى تلميذين، أوّلهما:

– ابنه ضيف الله، ومن أمارات ذالك ما جرى بينهما من مناظراتٍ نحوية، جاءت في شكل أبيات شعرية تضمّنتها بعض حواشي مخطوطات المنطقة.[2]

– وأمّا تلميذه الثاني فهو الشيخ عبد الرحمان بن عمر التنيلاني(ت1189هـ)، وقد وثّق ذلك بنفسه في فهرسته لشيوخه بقوله: « لقيته في صغري وأنا في المكتب بزاوية عم والدي تنلان مر بها متوجها لبلاد تجورارين، فحضرت إقراءه للمرشد المعين فأعجبني تدريسه فواعدته إن رجع لبلده أن أرحل إليه للأخذ عنه، فلم يقدّر لي ذلك، ثم لاقيته مراراً بعد ذلك واستفدت منه فوائد في النحو واللغة وغيرها، ثم ابتدأت عليه قراءة الخزرجية في بلده لما ذهب بي إليه شيخنا سيد عمر...»[3]

4) آثاره:

عاش ابن مقلاش العصر الذهبي فكريا وعلمياً في تاريخ توات، أي القرن 12هـ/18م، فكان من ثلّة العلماء الذين جسّدوا تلك الحركة العلمية، مسجّلين لنا اجتهاداتهم الفكرية والأدبية المتنوعة، وخلف لنا ابن أبّ تراثا كبيراً منوعاً من فنون مختلفة، فهو كما بيّن تلميذه عبد الرحمان بن عمر التنلاني بقوله:« كان رحمه

[1] فهرسة عبد الرحمان بن باعومر، مرجع سابق ص133–134.

[2] ينظر، محمد ابن أب، مرجع سابق ص60.

[3] فهرسة عبد الرحمان بن باعومر، مرجع سابق، ص133.

الله فقيهاً أديباً نحوياً لغوياً تصريفياً عروضياً فائقاً من لاقيته في العلوم الثلاثة الأخيرة، رائق الخط شاعراً مجيدا مفلقاً لا يبارى فيه ولا يجارى من صغره إلى الآن حتى لقد قال في عنفوان شبابه مخبراً عن حاله:

إذا ساد بالإقدام عمر وبالذكا تفرّد إياس وبالجود حاتم

فإنّ شعاري صنعة الشعر فالذي ينازعني فيها فذلك ظالم

وقد نظم قصائد ومقتطعات لو جمعت لكانت ديوانا ضخماً كبيرا»[1]

وفيما يأتي أهم آثار ابن أب في مختلف التّخصصات، من خلال المؤلفات المترجمة له: [2]

أ- في الفقه:

-تحلية القرطاس بالكلام عم مسألة الخمّاس وهو جواب عن رسالة بعث بها الشيخ مصطفى الرقادي لابن أب في مسألة تخميس الأرض والضوابط التي تحكم العلاقة بين الخمّاس وصاحب الأرض.

- منظومة عقد غيها صغرى الصغرى للشيخ السنوسي وهي في اثنين وستين بيتاً

- أرجوزة في علم الكلام.

- نظم باب السهو من مختصر الأخضري في العبادات، ألّفه سنة 1128هـ، وسمّاه العبقري وهو في مائة وتسعة وخمسين بيتا. وقد شرحه الشيخ عبد الله بن عبد الرحمان بن عمر التنيلاني (ت1221هـ/1806م) في كتاب سماه"المورد العنبري لمعاني العبقري"[3].

---

[1] فهرسة عبد الرحمان بن باعومر، مرجع سابق ص133-134.

[2] ينظرمحمّد ابن أب، مرجع سابق ص64-88، الرحلة العلية، مصدر سابق، جـ01 ص91-115، فهرسة عبد الرحمان بن باعومر، مرجع سابق ص135-138.

[3] هو ابن العالم المشهور عبد الرحمان بن عمر التنيلاني، كان فقيها عالماً ناظماً للشعر، ينظر معجم أعلام توات، تأليف عبد الله مقلاتي ومبارك جعفري، د.ط، د.ت، ص229 (PDF)

ب– علوم اللغة:

– روضة النسرين في مسائل التمرين، المسائل الواردة في شافية ابن الحاجب(ت 646هـ)، وهي أرجوزة في التصريف.

– الذخائر الكنزية في حل ألفظ الهمزية، وهو شرح على الهمزية للإمام البوصيري.

– نظم مقدّمة الأجرومية ألّفه سنة 1144هـ، سمّاه (نزهة الحلوم في نظم منثور ابن آجروم)، وهي في مائة وأربعين بيتاً، وقد وضع عليه الشيخ باي بلعالم شرحاً سمّاه (نزهة الحلوم في نظم منثور ابن آجروم).

– نظم مقدّمة ابن آجروم، ألّفها سنة 1120هـ. وقد قام بشرحها كلٌّ من الشيخ مولاي أحمد الإدريسي والشيخ محمّد بن بادي.

– شرح منظومة روضة النّسرين في مسائل التمرين السابقة الذكر.

جـ– الشعر والعروض:

– قصيدة في فك البحور ألّفها سنة 1116هـ.

– أرجوزة في علم العروض، ألّفها سنة 1126هـ، وسمّاها روائق الحلل في ذكر ألقاب الزحاف والعلل.

– أرجوزة في مدح الرسول صلّى الله عليه وسلّم، ضمّنها أشطاراً من الألفية، وهي في ثمانية وخمسين بيتاً.

– الأبيات العشرة المعكوسة، وله شرح عليها.

– القصيدة الشعرية التي نسجها على بحره الجديد، الذي سمّاه(المضطرب)، وهي في تسعة وثمانين بيتاً. بدأها بقوله:

صَلِّ يَا الَهِي ثُمَّ سَلِّمْ دَائِماً عَلَى خَيْرِ الْأَنَامِ.

5– وفاته: توفي –رحمه الله– ببلدة تميمون ظهر يوم الإثنين العاشر من جمادى الأخيرة سنة 1160هـ/ 1747م.[1]

[1] ينظر مخطوط جوهر المعاني، مصدر سابق، ص31.

2- منهج ابن أب المزمري:

أ- **تأطير الشرح:** جاءت مقدّمة الكتاب محاكيةً لأغلب الكتب السالفة له؛ حيث تقتصر في غالبها على التنويه بالمصنّف وذكر الدّافع إلى وضعه، دون تتبع معالمه الرئيسية التي تبرز المنهجية العلمية؛ نحو ذكر الأسباب والحوافز التي دفعته إلى وضع مؤلّفه والحديث عن الظروف والملابسات التي حكمت الكيفية التي تمّ بها هذا الجهد، وإدراك الهدف المنشود منه واختياره للتقسيم أو الخطوات التي يراها صالحة لكي يؤدي الكتاب غرضه العلمي.

« والملاحظ أنّ ابن أب في مؤلّفاته لم يلتزم منهجا في تقديمه وختامه إلاّ نادرا، حيث نراه يذكر اسمه ونسبه، حيث نراه أحياناً يسجل تاريخ النظم، وأحياناً أخرى يمتنع عن ذلك، ونراه يختم شرحه تارةً بأبيات يعتذر فيها عن بعض الأخطاء، التي قد يطلع عليها القارئ أو الدّارس، وتارة نراه يحجم عن ذلك.» [1]

وقد حاولنا حصر العناصر التي اشتملت عليها مقدمة المزمري لشرحه فيما يلي:

1- الافتتاح بالبسملة والحمدلة والصلاة والسلام على رسول الله، والإشادة باللسان العربي وعلم الأدب، «وعموماً فإننا لا نجد محمد بن أبّ يفتتح تأليفه أو يختمه دون البسملة والحمدلة والصلاة والسّلام على رسول الله.»[2]

2- عنوان الكتاب: فقد عهد عن الشارح ذكر العنوان في مؤلّفاته في أوّلها أو آخرها أو في الأول والأخير[3]، وقد صرّح بعنوان هذا الشرح في آخر تقديمه له، بقوله: «وسميته نفث القلم بشرح لامية العجم»[4]

3- سبب تأليف الشرح والهدف منه: إنّ المتأمّل في شرح ابن أبّ(نفث القلم) يجد أنّ من أسباب تأليفه هو مدى إدراك الشارح أهمية القصيدة وقيمتها

---

[1] محمد بن أب، مرجع سابق، ص 255.

[2] المرجع نفسه، ص 255.

[3] ينظر محمد ابن أبّ، مرجع سابق، ص 255.

[4] نفث القلم بشرح لامية العجم، محمد بن أب المزمري، (مخطوط)، خزانة المطارفة، قصر المطارفة– دائرة أوقروت، ولاية أدرار، ظهر الورقة 01.

الفنية والجمالية وكذا التربوية، وهذا ممّا يوافق نزعته التعليمية البارزة في الشرح كما سيتبيّن فيما يأتي؛ فقد «اشتغل محمّد بن أبّ المزمّري ولفترةٍ طويلة من حياته بالتدريس والإفتاء، فكان يرجع للمسائل الفقهية أو اللغوية الواردة في كتب الأولين، ثمّ يعرض لها في حلقته التعليمية في قالبٍ سهْلٍ وبسيط، غايته إيصال الفكرة وتوضيح المعنى من أقرب الطرق، بأبسط الوسائل الممكنة..»[1]

ويظهر هذا في في مقدّمته حيث افتتحها بالتنويه باللسان العربي وعلم الأدب ثمّ الإشارة إلى مكانة القصيدة وقيمتها، يقول: «الحمد لله الذي فضّل اللسان العربي على كلّ لسان، وجعل علم الأدب من أحسن ما يتحلّى به الإنسان، والصّلاة والسّلام؛ فهذا إن شاء الله تقييد على القصيدة الفريدة المشهورة بلامية العجم، الجامعة الأمثال السائرة والحكم» [2] فنلمس في كلامه إشارة إلى الغاية الفنية والموضوعية المرجوة من الشرح.

4–التعريف بالطغرائي صاحب اللامية، ومناسبة نظم القصيدة: فقد نوّه الشارح في مقدّمته بصاحب القصيدة مُشيراً إلى اسمه وأصله وكذا لقبه "الطّغرائي" والتنصيص على طريقة قراءته وضبطه وشرح معناه، بقوله: «نظم الإمام العالم العلامة النحرير الفاضل الأديب الشاعر المجيد الكاتب الورع أبي اسماعيل الحسين بن علي بن محمد بن عبد الصّمد الإصبهاني الطّغرائي بضم الطاء المهملة وسكون الغين المعجمة، نسب إلى الطّغراء؛ أي منْ يكتبها، وهي لفظة أعجمية ومعناها الطرّة التي تكتب في أعلى الكتاب قوق البسملة بالقلم الغليظ يتضمّن نعوت الملك الذّي صدر الكتاب عنه وألقابه »[3]

[1] محمد بن أب، مرجع سابق، ص259.

[2] نفث القلم، المصدر السابق، ظهر الورقة 01.

[3] المصدر نفسه، ظهر الورقة 01.

وهو يذكر بعد ذلك تاريخ نظم القصيدة ودافعه ثمّ وفاة الشاعر، ويكتفي المزمري في مقدّمته بهاته العناصر ليشرع مباشرةً في شرح أبيات القصيدة.

3- المنهج العام للشرح:

أ- خطوات الشرح ومنهج عرض الأفكار: قدّ ابن أب شرحه متوخياً جملةً من الخطوات والتقنيات على طول الشرح، وسنجمل أهمّها فيما يأتي:

-التزم ترتيب الأبيات في شرحه كما وردت في الدّيوان[1]، وكتاب علي جواد الطّاهر(الطّغرائي حياته وشعره ولاميته)[2]، دون إغفال بيتٍ منها، حيث يشرح كلّ بيتٍ على حدة حتى يفرغ منه ينتقل للذي يليه وأحيانا بيتين معاً.

- بدأ شرحه لكلّ بيت بشرح مفرداته وما يتعلّق بها من التصاريف والاشتقاقات، والإشارة إلى إعرابها أحيانا وما تقتضيه من أوجه إعرابية ومعني معجمية لبلوغ المعنى المقصود من تراكيب الجمل وخواص الكلمات المستعملة في ذلك التركيب، ثمّ يذكر معنى البيت أخيراً مستنداً في ذلك على علاقة البيت بباقي أبيات القصيدة، مثال ذلك قوله «

مجْدِي أَخِيرًا وَمَجْدِي أَوّلاً شرعٌ وَالشَّمْسُ رَأْدُ الضُّحَى كَالشّمْسِ فِي الطَفَلِ

مجدي؛ أي شرفي، وأخيرا وأوّلا ظرفان، وشرع بفتحتين سواء يقال همّ في هذا الأمر شرع أي سواء، والواو في قوله والشمس للابتداء والاستئناف، ورأد الضحى أي ارتفاعه، وهو براء ودال مهملتين بينهما الهمزة ساكنة وانتصابه على الظرفية، كالشمس في الطَفَل بفتحتين آخر النّهار.

[1] ديوان الطّغرائي صاحب لامية العجم، مطبعة الجوائب، القسطنطينية، ط1، 1300هـ، ص 54 وما بعدها،(PDF/ مكتبة المصطفى:www.al-mostafa.com).

[2] الطّغرائي: حياته – شعره- لاميته، مرجع سابق، ص84 وما بعدها.

المعنى: إنّ شرف قدري في ابتداء أمري وأيام ولايتي كما كان في آخر عمري وأيّام عزلي بلا تفاضل، كما أنّ الشّمس شمس في أوّل النهار وفي آخره وهذا النوع يسمّيه أهل البديع الافتخار، وهو كثير في هذه القصيدة.»[1]

– الإشارة إلى ما في البيت من وجوه المحاسن اللفظية والمعنوية وفنون البيان والبديع، والإحالة على ما فيها من لفتات جمالية وأسلوبية، دون التوسع في بحثها وتحليلها إلاّ نادراً، وهي في معظمها متضافرة مع شرحه اللغوي والنّحوي واستقصاء معاني القصيدة، كما أنّها تبرز حس ابن أبّ الأدبي وذوقه الفني المتناغم مع نزعته التعليمية بسعيه من وراء ذلك إلى تطوير ملكة القارئ الفنية، ومما تضمن ما جاء في شرحه لبيت الطُّغرائي:

طردْتُ سرح الكرى عن ورد مقلته واللّيل أغرى سوامَ النّوم بالمقلِ

يقول: «...وفي البيت الأول من البديع أحسن الاستعارة؛ فإنه جعل الّيل بمثابة راعٍ والنّوم بمثابة سرْحٍ نائمةٍ»[2]

وفي موضع آخر يتحدّث عن استعمال الشعراء للمجاز وأثره في تطور المعاني والدلالات: «واعْلمْ أنّ للشعراء في التّغزل ألفاظاً يكثُرُ دورها على ألسنتهم حتّى صارَ عندهم مجازها كالحقيقة؛ بحيث لا يُفهمُ منها عند الإطلاق سوى المجاز؛ فإذا أطلقوا الغصن والرّمح فالمراد القَد بالفتح »[3]

– غلبة النزعة التعليمية في الشرح: يستطيع القارئ بسهولة إدراك ذلك المنزع التعليمي لما يتجلى من مظاهره فيه، وجل ما ذكرناه من منهج ابن أب وطريقته كذلك يؤكد هذا المنزع، إلى جانب مظاهر أخرى كاستعمال أدوات التبسيط كاستعمال الحرف (أي) في مواضع عديدة من الشرح، والأسلوب السهل الواضح الخالي من التكلف والغموض، وحرصه على إيراد الأشياء المتشابهة

[1] نفث القلم، مصدر سابق، وجه الورقة 02.

[2] المصدر نفسه، ظهر الورقة 05.

[3] المصدر نفسه، وجه وظهر الورقة 08.

والتفريق بينها، أو المتقابلة، على سبيل المثال قوله:«والعمل أخصّ من الفعل؛ لأن الفعل يُنسبُ إلى ذوي العقول وأمّا العمل فلا يقال إلاّ فيما كان عنْ فِكْرٍ وروية»[1]

– حرص ابن أب في أحيانٍ كثيرةٍ على الاستشهاد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وكلام العرب والأخبار التاريخية في مسائل مختلفة من معجم ونحو وبلاغة وسلوك.. وغيرها. ومن أهم الملاحظات المسجلة على تعامل الشارح مع الشواهد ما يلي:

- تضمّن شرح بن أب جملةً من أي القرآن الكريم للاستشهاد في مواضع مختلفة معتمداً على رواية ورش عن نافع؛ من ذلك توجيه بعض معاني ألفاظ الأبيات، أو دعم آرائه وتعليقاته حول معاني الأبيات، أو بعض المعاني النحوية فيها.
- لم يفت المزمري أن يسوق نماذج من الحديث النبوي الشريف في شرحه وإنْ كان قليلا، وقد جاءت الأحاديث التي أودعها في شرحه جُلّها مصدّرة بقوله «وفي الحديث..» بدون إسناد، سواء روى الحديث أو بعضاً منه باللفظ أو بالمعنى.
- حصلت الشواهد الشعرية على حصّة الأسد من الشواهد التي ساقها المزمري؛ حيث وصل عددها حوالي 92 بيتاً شعرياً في أغلبها أبيات مفردة، إلى جانب مقطوعات مختارة ورجز واحد، ومما لاحظناه في تعامله مع الشواهد الشعرية أنّه لم يتقيّد في انتقائه لها بعصرٍ معيّن، وإنما نوّع من العصر الجاهلي كامرئ القيس، والإسلامي والأموي كعلي بن أبي طالب كرّم الله وجهه وعمر بن أبي ربيعة والمجنون والطّرماح، ومن العباسي الحريري والمعري وأبو الفتح البستي والأرّجاني..ومن المملوكي البوصيري، وكان كثير منها يورده مغفلاً من اسم القائل متصدّراً بعبارة "ومنه قول الشاعر" أو "قال الشاعر" أو "لله در القائل"

[1] نفث القلم، وجه الورقة 15.

وأحيانا يرفق مايورده من أبيات بذكر الظرف أو المناسبة المتعلقة به من ذلك ما جاء في قوله « كان الخليل بن أحمد النّحوي المشهور وجه إليه سليمان بن علي والي الأهواز يلتمس منه الشخوص إليه، وتأديب أولاده، فأخرج الخليل لرسوله خبزاً يابساً، وقال: ما عندي غيره، ومادُمْتُ أجدُه فلا حاجةَ لي في سليمان، فقال الرسول: فما أبلغه عنك؟، فأنشأ يقول: [من بحر البسيط]

أَبْلِغْ سُلَيْمَانَ أَنِّي عَنْكَ فِي سِعَةٍ وَفِي غِنًى غَيْرَ أَنِّي لَسْتُ ذَا مَالٍ،

سَخِيٌّ بِنَفْسِي انِّي لَا أَرَى أَحَدَا يَمُوتُ هَزْلاً وَلَا يَبْقَى عَلَى حَالٍ. »[1]

وأحياناً نجده يعلّق أو يورد أراءً في الشاهد، من ذلك ما جاء في معرض حديثه عن بيتٍ لامرئ القيس:«قال المسعودي: قيل إنّه –يعني امرئ القيس– أوّل من قال هذه الكلمة»[2]

وقوله في بيت أبي العلاء

«فَيَا مَوْتُ زُرْ انّ الحَيَاةَ دَمِيمَةٌ وَيَا نَفْسُ جِدِّي انَّ دَهْرَكِ هَازِلُ.

قوله دميمة بإهمال الدّال حقيرة، وبإعجامها مذمومة. «[3]

- استحضر إلى جانب ذلك نصوصاً وشّح بها شرحه من سير وأخبار وآثار، توافق معاني أبيات القصيدة، من ذلك ما نقله عن ذي النون المصري والفضيل عيّاض والطرطوشي في كتابه (سراج الملوك)[4]، وغيرها مما من شأنه تهذيب النفوس والسلوك.

الخاتمة: نستشف مما استقريناه عن منهج ابن أب في شرحه على قصيدة لامية الطغرائي قيمة الشرح، ومزاياه نوجزها فيما يلي:

[1] نفث القلم، وجه الورقة 18.

[2] المصدر نفسه، ظهر الورقة 04.

[3] المصدر نفسه، ظهر الورقة 12.

[4] المصدر نفسه، ظهر الورقة 17.

– دوّن ابن أبّ شرحه بأسلوب واضح سهل، يجمع بين الحسن والبيان وإثارة الاهتمام والاستفادة، بعيد عن التكلف والغموض والتصنع المبتذل وهو أسلوب استدعته الطبيعة التعليمية والغاية التربوية من الشرح.

– الجمع بين معارف عدّة مختلفة من معجم وتاريخ ونقد ونحو... وغيرها صحبته طول الشرح بنسب متفاوتة حسب ما يستدعيه المقام، جعلت من الشرح وحدة متكاملة منسجمة مفيدة.

– يعكس تأليف ابن أبّ النشاط الأدبي والمعرفي والعطاء الفكري الذي عرفه عصره في القرن 12هـ، خاصّة في منطقة توات في صلتها بباقي المراكز الثقافية في المغرب والمشرق، وما يلزم عن ذلك من مظاهر التأثير والتأثر في المعارف والعلوم وحركة التأليف، وعلى الخصوص عنايتهم البارزة بالشروح.

قائمة المصادر والمراجع:

1- تاريخ الأدب العربي، أحمد حسن الزيات، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط6، 1420هـ 2000م.

2- تاريخ النقد الأدبي في الأندلس، محمّد رضوان الدّاية، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1993م.

3- جوهرة المعاني، محمّد بن عبد الكريم بن عبد الحق التمنطيطي، (مخطوط) خزانة الشيخ باي آولف.

4- ديوان الطّغرائي صاحب لامية العجم، مطبعة الجوائب، القسطنطينية، ط1، 1300هـ، (PDF/مكتبة المصطفى .(www.al-mostafa.com:

5- الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات، محمد باي بلعالم، دار هومة، الجزائر،د. ط، د. ت.

6- شرح لامية العجم لأبي البقاء عبد الله بن الحسين (538- 616هـ) دراسة وتحقيق: محمود العامودي، (مقال) مجلة الجامعة الإسلامية، المجلّد العاشر، العدد الأول .PDF.

7- شروح لامية العجم، دراسة تحليلية نقدية، إبراهيم محمد منصور، المركز المصري العربي، ط1، 1998م.

8- الطّغرائي: حياته – شعره- لاميته(بحث وتحقيق وتحليل)، علي جواد الطّاهر، منشورات مكتبة النّهضة – بغداد، ط01-1963م.

9- فهرسة عبد الرحمان بن عمر التنيلاني، دراسة وتحقيق(أطروحة ماجستير، مخطوط)، إعداد عبد الرحمان بن محمد بعثمان، إشراف محمد بن معمر، جامعة بشار، 2008-2009م.

10- قطف الزهرات من أخبار علماء توات، محمّد عبد العزيز سيدي عمر، مطبعة دار هومة، الجزائر، (د.ط)، 2002م.

11- محمّد بن أبّ المزمري حياته وأثاره ويليه مخطوط روضة النّسرين في مسائل التمرين، محمد بن أب، تح ودر: أحمد أبا الصافي جعفري، دار الكتاب العربي، ط1، 2004م.

12- معجم أعلام توات، تأليف عبد الله مقلاتي ومبارك جعفري، د.ط، د.ت، ص215.PDF))

13- المعجم المفصّل في اللغة والأدب، إميل بديع يعقوب وميشال عاصي، دار العلم للملايين، بيروت، ط1- 1987م.

14- نسيم النفحات، نسيم النّفحات من أخبار توات ومن الصّالحين والعلماء الثقات، مولاي أحمد الطّاهري الإدريسي الحسني، مداد للطباعة والنّشر، غرداية، ط2، 2012م.

15- نفث القلم بشرح لامية العجم، محمد بن أب المزمري، (مخطوط)، خزانة المطارفة، قصر المطارفة- دائرة أوقروت، ولاية أدرار.

16- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلّكان، تح: إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت، ط06، 2013هـ/ 1434م.